فقهاء الصحابة

١

عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ

ترجمان القرآن

تأليف

عبد العزيز الشناوي

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ ش جواد حسني - القاهرة
ص.ب ١٣٠ ت: ٣٩٢٥٥٢٣

مسح النبي عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة على رأس عبد الله بن عباس وقال :

— اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه تأويل الكتاب

ثم وضع يده الشريفة على صدره وقال :

— اللهم احش جوفه حكمة وعلما .

قال الله تعالى : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ فاستجاب الله عزوجل لدعوة نبيه إبراهيم وبعث محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم .

قال النبي عليه الصلاة والسلام : إني عند الله لخاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك . . دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى بن مريم ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام .

قال عبد الله بن عباس : نحن أهل البيت شجرة النبوة ومختلف الملائكة وأهل بيت الرسالة وأهل بيت الرحمة ومعدن العلم .

أدرك عبد الله بن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاصره وهو غلام فتلقى في حداثته مبادىء حياته من النبي عليه الصلاة والسلام الذي كان يعلمه الحكمة ويؤثره ويزكيه .

نسبه :

هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية .

مولده :

عرضت قريش على النبي عليه الصلاة والسلام المال فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء وقالوا :

ـ هذا لك عندنا يا محمد وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء .

فرفض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

— فإننا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ما هى؟

قالوا : تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد إلهك سنة .

فأنزل الله عز وجل ﴿ قل يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ﴾ و ﴿ قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ﴾ فمشوا إلى عمه أبى طالب ومعهم عمارة بن الوليد وقالوا :

— يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش واحمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك خير وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل برجل .

فقال أبو طالب : والله لبئس ما تسومونى أتعطونى إبنك أغذوه لكم وأعطيكم إبنى تقتلوه ؟ هذا والله لا يكون أبدا .

فعزمت قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علم أبوطالب ما عزم عليه أشراف قريش أمر بنى هاشم وبنى عبد المطلب أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدخلوه شعب أبى طالب فلما رأت قريش أن النبى عليه الصلاة والسلام قد منعه قومه كتبوا كتاباً أجمعوا فيه على أن لاينكحوا بنى عبد المطلب وبنى هاشم ولاينكحوا إليهم ولايبيعوهم ولايبتاعوا منهم شيئاً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة وضربوا حصاراً حول شعب أبى طالب يمنعون من فيه من الخروج ويمنعون الناس من الدخول أو الاتصال بمن قبل حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعت عنهم الميرة والمادة وأصبح بنو هاشم وبنو عبد المطلب فى ضيق وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب وأكل بنو هاشم وبنو عبد المطلب حشاش الأرض وأوراق الشجر وذات يوم جاء العباس بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان ما زال على دين قومه) فقال :

— يا محمد أرى أم الفضل (يعنى زوجته وقد كانت آمنت بالله ورسوله بعد إسلام أم المؤمنين خديجة بنت خويلد) قد اشتمات على حمل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعل الله أن يقرأ عينكم . لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام .

ووضعت أم الفضل مولوداً فى الشعب فطلبت من النبى عليه الصلاة والسلام أن يسميه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله .

وحنكه النبى عليه الصلاة والسلام بريقه ولم يعترض العباس بن عبد المطلب على ذلك الاسم فقد كانت عواطفه مع ابن أخيه صلى الله عليه وسلم وما يدعو إليه . وكان مولد عبد الله بن عباس قبل الهجرة بثلاث سنوات .

وذاع فى قريش أن عبد الله بن العباس قد ولد فى الشعب ففرح أناس لذلك الهوان الذى نزل بالعباس بن عبد المطلب صاحب السقاية والرفادة والصيت العريض .

ووضع بنو هاشم وبنو عبد المطلب حجارة شدوها على بطونهم تخفيفاً لآلام الجوع . وأنبأ الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأرضة أكلت ولحست ما فى الصحيفة من ظلم وجور وقطيعة رحم . . فأخبر النبى عليه الصلاة والسلام عمه أبا طالب بذلك فانطلق فى عصابة من بنى عبد المطلب حتى أتوا المسجد وهم خائفون لقريش فلما رأتهم قريش فى جماعة أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش .

فقال النضر بن الحارث : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد قد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم .

فقال أبو طالب : قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها فلعله يكون بيننا وبينكم صلح .

فقالت قريش : لماذا ؟

قال أبو طالب : لقد أطلع الله محمدا على الذى صنع .

فقال أشراف قريش : ماذا أطلع إلـه محمد محمدا ؟

قال أبو طالب : إنما آتيتكم لأعطيكم أمراً فيه نصف (عدل وحق) إن إبن أخى أخبرنى — ولم يكذبنى — أن الله برىء من هذه الصحيفة إلى فى أيديكم فسلط عليها الأرضة فامحست ماكان فيها من جور أو ظلم أوقطعية رحم وبقى فيها ما ذكر به الله فإن كان ابن أخى صادقاً فأفيقوا فوالله لا نسلمه أبدا حتى نموت من عندنا أو تنزعنم عن سوء رأيكم وإن كان كاذباً دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم .

فانطلق المطعم بن عدى وزمعه بن الأسود وهشام بن عمرو فأحضروا الصحيفة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر خبرها وأن الأرضة لحست كل ظلم وجور وقطيعة رحم . . .

فقال أشراف قريش : هذا من سحر محمد .

— والله إن كان هذا قط إلا سحر مبين من صاحبكم .

فقال العباس بن عبد المطلب : إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فإننا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم .

قال المطعم بن عدى وأبو البخترى وهشام بن عمرو وزهير بن أبى أمية وزمعة بن الأسود :

— نحن برءاء مما فى هذه الصحيفة .

فتساءل أبو طالب : علام نحبس ونحصر وقد بان الأمر ؟

فزق المطعم بن عدى وزهير بن أبى أمية الصحيفة .. فدخل أبو طالب والعباس وشيوخ بنى عبد المطلب بين أستار الكعبة . . وقال أبو طالب :

— اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم علينا منا .

وانطلق أناس فيهم : المطعم بن عدى وهشام بن عمرو وأبو البخترى

بن هشام وزهير بن أبى أمية وزمعة بن الأسود فلبسوا السلاح . . ثم خرجوا إلى شعب أبى طالب ليخرجوا المحصورين فى حمايتهم . فلما دخل أبو طالب والعباس وشيوخ بنى هاشم الشعب قال العباس بصوته الجهورى :

— صدق ابن أخى . . ومزقت الصحيفة .

فارتفعت أصوات المسلمين بالتكبير . . ثم خرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب من شعب أبى طالب إلى دورهم .

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وجحودها وتنكرها لكلمة الله ما رأى فعرض نفسه ودعوته على الوفود التى كانت تأتى مكة فى المواسم من مختلف القبائل فلم يستجب منهم أحد . . حتى أراد الله إظهار دينه ونصر نبيه عليه الصلاة والسلام وإنجاز ما وعده فساقه إلى حى من الخزرج (كان أوس وخزرج يثرب يسمى حى الخزرج) أو الأنصار فلقيهم عند العقبة بمنى . . فاستجاب نفر منهم لله ولرسوله فآمنوا وصدقوا .

وفى العام التالى وفد على مكة اثنا عشر رجلا من الأنصار فاجتمعوا بالنبى عليه الصلاة والسلام وبايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه فى معروف . . ثم انصرفوا إلى يثرب . . وبعثوا إلى النبى عليه الصلاة والسلام :

— إن الإسلام قد فشا فينا فابعث إلينا رجلا من أصحابك يقرئنا القرآن ويفقهنا فى الإسلام ويعلمنا بسنته وشرائعه ويؤمنا فى صلاتنا .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم مصعب بن عمير . فلما دار العام دورته قدم إلى مكة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من الأنصار فلقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة . . وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم .

فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . . ومر العباس بن

عبد المطلب بالنبي عليه الصلاة والسلام وهو يكلم النقباء ويكلمونه فعرف صوت ابن أخيه صلى الله عليه وسلم فنزل وعقل راحلته ثم قال :

— يا معشر الأوس والخزرج هذا ابن أخي وهو أحب الناس إلى فإن كنتم صدقتموه وآمنتم به وأردتم اخراجه معكم فإني أريد أن آخذ عليكم موثقاً تطمئن به نفسي ولا تخذلوه فإن جيرانكم اليهود وهم لكم عدو ولا آمن مكرهم عليه . . إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه وما نعوه ممن خلفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

وظل العباس بن عبد المطلب حتى بايع الأنصار النبي عليه الصلاة والسلام على حرب الأحمر والأسود وقتل الأشراف وعلى مصيبة الأموال .

هجرته :

اشتدت عداوة قريش ضراوة لما أيقنوا أن النبي عليه الصلاة والسلام قد بايع الأنصار على أن يمنعوه فيما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأنهم أصحاب قوة ومنعة وحلقة (سلاح) فجاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون ما يلقون من اضطهاد قريش لهم فقال النبي عليه الصلاة والسلام :

— إن الله قد جعل لكم أخواناً وداراً تأمنون بها .

وكان هذا أمراً لمن بمكة من المسلمين بالخروج إلى يثرب والهجرة إليها . فهاجر أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى يثرب . . ثم لحق بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبقي في مكة من أصحابه المستضعفون .. فكانت أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب من المستضعفين من النساء وابنها عبد الله من الولدان وأبو رافع غلام العباس بن عبد المطلب .

نشأ عبد الله بن عباس في بيت ثراء وغنى فقد كان أبوه ذا مال وكان البيت يموج بالحياة والحركة لكثرة أطفاله فقد كانت أمه أم الفضل من

المنجبات وفشا فى هذا البيت الإسلام إذ سارعت أم الفضل إليه فكانت أول امرأة أسلمت بعد خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان النبى عليه الصلاة والسلام يزور عمه العباس ويقيل عنده وكان يحب أطفاله ويداعبهم فلما هاجر حرمهم من هذه الزيارات وتلك المداعبات والخير الكثير .

ولما كانت وقعة بدر أكرهت قريش العباس بن عبد المطلب على الخروج معها . . فقال النبى عليه الصلاة والسلام لأصحابه :

— انكم قد عرفتم أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا اكراهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ومن لقى أبا البخترى فلا يقتله .

والتقى الجمعان . . وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا . . وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد عمرو قال بأعلى صوته :

— قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم وأمية وفلان وفلان من أشراف قريش وأسر سهيل بن عمرو والعباس بن عبد المطلب وفلان وفلان (كان القتلى سبعين والأسرى سبعين) .

وكان صفوان بن أمية جالساً فى الحجر فلما سمع ذلك قال :

— والله إن يعقل (ما يعقل) هذا سلوه عنى .

فسألوه : ما فعل صفوان بن أمية ؟

فقال الحيسمان بن عبد عمرو وهو يشير نحو صفوان :

— هو ذاك الجالس فى الحجر وقد رأيت أباه وأخاه (على بن أمية) حين قتلا .

ففرحت أم الفضل وأولادها : عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن والفضل وقثم ومعبد وأم حبيب . . وغلامهم أبو رافع . . وأقبل أبو لهب بن عبد المطلب يجر رجليه بشر وجلس عند أم الفضل وبينما هو جالس إذ

قدم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان مع قريش فى بدر .

فقال أبو لهب : هلم إلى عندك الخبر يا ابن أخى .

فقال أبو سفيان بن الحارث : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا وأسرونا كيف شاءوا وأيم الله مالمت الناس لقينا رجال بيض على خيل باق بين السماء والأرض والله ما يقوم لها شيء .
فقال أبو رافع : والله تلك الملائكة .

فرفع أبو لهب يده فضرب وجه أبى رافع ضربة شديدة وقام كل لآخر فاحتمله أبو لهب وضرب به الأرض ثم برك على أبى رافع فقامت أم الفضل إلى عمود وضربت به أبا لهب فى رأسه أثرت شجة منكرة وقالت :

— استضعفته أن غاب سيده (تعنى زوجها العباس) .

فقام مولياً ذليلا وقد أصيب بالعدسة (بثرة تشبه العدسة من جنس الطاعون فقتلته فتباعد عنه بنوه وبقى بعد موته ثلاثة أيام لا تقرب جنازته ولا يحاولون دفنه فلما خافوا السبة أسندوه إلى حائط وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه) .

وكان من بين أسرى بدر أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وطلب النبى عليه الصلاة والسلام من عمه العباس أن يفدى نفسه فقال صلى الله عليه وسلم :

— افد نفسك يا عباس وابنى أخويك عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وحليفك عقبة بن عمرو فإنك ذو مال .

فقال العباس بن عبد المطلب : يارسول الله كنت مسلماً ولكن القوم استكرهونى .

قال النبى عليه الصلاة والسلام : الله أعلم بإسلامك إن يكن ما قلت حقاً فإن الله يجزيك به وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافتد نفسك .

هل كان العباس بن عبد المطلب يومئذ مشركاً ؟ هل كان مسلماً حقاً ؟

هل قال النبى عليه الصلاة والسلام ذلك ليضلل قريشا ولا يفسد الدور الذى سيقوم به بعد ذلك فى مكة فيكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم عينا يكتب إليه بأخبار قريش ويقوى به من بمكة من المستضعفين ؟ لو كان مشركاً لماذا نهى النبى عليه الصلاة والسلام عن قتله هو وأبى البخترى ؟ لقد أسلم العباس بن عبد المطلب وكتم إسلامه لأنه كان يهاب قومه ويكره خلافهم لأنه ذو مال كثير متفرق فى قومه وكان له عمارة المسجد الحرام فلا يدع أحداً فى المسجد يسب أحداً ولا يقول فيه فاحشاً من القول وكانت قريش أعواناً للعباس على ذلك .

قال الأنصار : ائذن لنا يا رسول الله فلنترك لابن أختنا عباس فداه (كان الأنصار أخوال العباس بن عبد المطلب لأن أمه نتيلة بنت خباب من الخزرج.) .

وأفدى العباس نفسه ورجع إلى مكة ليكون عينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كان مشركاً يومئذ لفرق النبى عليه الصلاة والسلام بينه وبين زوجته أم الفضل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد فرق بين أبى العاص بن الربيع وبين ابنته زينب حين أطلق سراحه فقد كان أبو العاص مشركاً وزينب مسلمة .

ولما تهيأت قريش للخروج لتثأر ليوم بدر طلبت من العباس بن عبد المطلب الخروج معها قال :

— أنسيتم ما أصابنى يوم بدر ؟

وبعث إلى ابن أخيه صلى الله عليه وسلم بكتاب مع رجل من غفار يخبره فيه بخروج قريش بحدها وجدها وأحابيشها لمحاربته حتى يتهيأ لقتالهم .

وكان عبد الله بن عباس يحفظ قصار السور مع أبى رافع غلام العباس بن عبد المطلب وكان يتحسس أخبار ابن عمه صلى الله عليه وسلم من الركبان القادمين من المدينة .

: ولما قدم نفر من يهود بنى النضير مكة فحزبوا قريشا ثم خرجوا إلى قبائل العرب فحزبوهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العباس بن عبد المطلب إلى النبي عليه الصلاة والسلام كتاباً يخبره بمقدم الأحزاب . . فحفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه خندقاً عميقاً واسعاً حول المدينة ونصره الله بجنود لم يرها أحد (ريح الصفا والملائكة) .

وذات يوم كان عبد الله بن عباس عند الكعبة ينتظر مقدم ركبان من المدينة فيتحسس أخبار ابن عمه صلى الله عليه وسلم سمع أشراف قريش يتحدثون عن سير النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه إلى حصون خيبر .

فقال بعضهم : إن محمدا سيذوق حنظل الهزيمة عند حصون خيبر .

وقالت طائفة أخرى : إن محمدا سيغلب أهل خيبر .

فصار جسد عبد الله بن عباس آذاناً صاغية فقد كان يستنشق أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم . ووقع بين الفريقين مراهنة على مائة بعير . . وأقبل الركبان فلما رأى سادات قريش الحجاج بن علاط قالوا :

— هذا عنده والله الخبر .

وخفوا إليه وقالوا :

— أخبرنا يا حجاج فإنه قد بلغنا أن القاطع (يقصدون النبي عليه الصلاة والسلام) قد سار إلى خيبر وهى بلد يهود وريف الحجاز .

قال الحجاج بن علاط : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم .

فقال سادات قريش فى لهفة : إيه يا حجاج ؟

قال الحجاج بن علاط : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط وأسر محمد وقال يهود خيبر : لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم من أصاب من رجالهم .

وهم عبد الله بن عباس أن يصرخ فى وجه الحجاج بن علاط قائلا :

— كذبت والله فلن يخذل العلى القدير نبيه أبدا .

ولكنه خشى بطش سادات قريش وخيل إليه أن قلبه سقط فى ركبتيه . . وراح ينظر إلى أشراف قريش الذين قاموا وصاحوا بمكة وقالوا :

— لقد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم .

فقال الحجاج بن علاط : أعينونى على جمع مالى بمكة على غرمائى فإنى أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هناك .

فقام أشراف قريش فجمعوا له ماله كأحث جمع سمع به . وجاء الحجاج بن علاط صاحبته (امرأته) فقال لها :

— مالى لعلى ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار .

وأظهرت قريش الفرح والسرور . وانكسر من كان بمكة من المسلمين . وانطلق عبد الله بن عباس إلى أبيه وأخبره بما سمع فبعث إلى الحجاج بن علاط غلاماً . . فقال الحجاج :

— اقرأ على أبى الفضل السلام وقل له : ليدخل لى بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره واكتم عنى

فأقبل غلام العباس وقال : أبشر يا أبا الفضل .

فوثب العباس بن عبد المطلب فرحاً ونحى عنه مرضه الذى أصابه لما سمع الخبر . ووعد الغلام أن يعتقه لو كانت هناك بشارة . . وأردف :

— لله على عتق عشر رقاب .

ولم يستطع العباس بن عبد المطلب صبراً فخرج حيث كان الحجاج بن علاط فسأله وهو بجانبه هامساً :

— يا حجاج ما هذا الذى جئت به ؟

قال الحجاج بن علاط : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟

قال العباس بن عبد المطلب : فاستأخر عنى حتى أفرغ .

فلما فرغ الحجاج بن علاط من جمع كل شيء كان له بمكة وأجمع الخروج لقى العباس بن عبد المطلب فقال :

— احفظ على حديثى يا أبا الفضل فإنى أخشى الطلب ثلاثا ثم قل ما شئت.

فقال العباس بن عبد المطلب . أفعل .

قال حجاج بن علاط : إنى أسلمت وإن لى مالا عند امرأتى ودينا على الناس ولو علموا بإسلامى لم يدفعوه إلى ولقد استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لى: قل .. وقد تركته عروساً بابنة ملكهم حيي بن أخطب .

ولما خرج حجاج بن علاط من مكة ومضت الثلاث عمد العباس بن عبد المطلب إلى حلة فلبسها وتخاق بخلوق (ضرب من الطيب) وأخذ بيده قضيباً وأخذ ابنه عبد الله بيده وأقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذ مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل .

— هذا والله التجلد بحر المصيبة .

فقال العباس بن عبد المطلب : كلا والله الذى حلفتم به لم يصبنى إلا خير بحمد الله . أخبرنى حجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على يد رسول الله واصطفى نبى الله بنت ملكهم حيي بنت أخطب لنفسه وإنه تركه عروساً بها .

فقال سادات قريش فى عجب : لماذا أخبرنا أن أهل خيبر قد غلبوا محمدا وأصحابه و . . ؟

قال العباس بن عبد المطلب : وإنما قال ذلك لكم ليخلص ماله وإلا فهو ممن أسلم وتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين وكست وجوههم قطع من الليل المظلم وقالوا :

— انفلت عدو الله .

— أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن .

فتبسم العباس ولم يستطع عبد الله بن عباس أن يكتم ضحكة شماتة ، وأعتق العباس غلامه وعشرة آخرين وفاء بالنذر .

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه معتمرين . ٥ وأسرع العباس بن عبد المطلب إلى قبة ابن أخيه التى نصبها بالأبطح ليطفىء نار الشوق ويرى ابن أخيه جعفر بن أبى طالب وعليا ورجال بنى هاشم ، ٥ وحدث العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمنية برة بنت الحارث بن حزن الهلالية (خالة عبد الله بن عباس) فقد كانت حدثت أم الفضل بأمنيتها أن تكون زوجة للنبى عليه الصلاة والسلام ليكون لبنى هلال شرف مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نالت بنى تيم (عائشة بنت أبى بكر) وبنى عدى (حفصة بنت عمر) وبنى أمية (أم حبيبة بنت أبى سفيان) وبنى مخزوم (أم سلمة) و . . ذلك الشرف . فحدثت أم الفضل زوجها العباس . . فبعث النبى عليه الصلاة والسلام جعفر بن أبى طالب إلى برة بنت الحارث ليخطبها . فلما خرج من عندها استخف بها الطرب فركبت بعيرها وانطلقت حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رأته قالت :

— البعير وما عليه لله ورسوله .

فتحدث الناس عما فعلت برة بنت الحارث وأنها لم تستطع الانتظار فجاءت بنفسها تهب نفسها لله ولرسوله . . وقد سماها النبى عليه الصلاة والسلام ميمونة . ووجد عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه من المنافقين فرصة للغمز واللمز وبذر بذور الاستياء فى قلوب المسلمين فأنزل الله تعالى

« يا أيها النبى إنا أحللنا أزواجك اللاتى أتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيما » .

ولما رجع النبى عليه الصلاة والسلام إلى المدينة كتب العباس بن عبد المطلب إليه يسأله أن يخرج مهاجراً فكتب إليه النبى عليه الصلاة والسلام :

— مقامك بمكة خير .

وخرج الفضل بن العباس وأخوه عبد الله وغلامهما أبو رافع مهاجرين فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده ففرح بمقدمهم .

ثم قدم خالد بن الوليد (ابن خالة عبد الله بن عباس) وعمرو بن العاص وعثمان بن أبى طلحة فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح النبى عليه الصلاة والسلام بإسلامهم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها فلما هم عليه الصلاة والسلام بغزو مكة بعث إلى عمه العباس سراً أن يخرج مهاجراً ليكون له الثواب الذى يستحقه بعد أن أدى للإسلام خدمات فى الخفاء فلم تعد هناك حاجة لأن يكون عينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصبح الفتح الأكبر قريباً وأنه لا هجرة بعد الفتح .

ولقى العباس بن عبد المطلب جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة فلقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحاً وقال له :

— هجرتك يا عم آخر هجرة أنت آخر المهاجرين كما أنى آخر الأنبياء .

وبعث العباس بن عبد المطلب زوجته أم الفضل وأبناءها : عبد الرحمن وقثم ومعبد وعبيد الله وأم حبيب إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورجع العباس بن عبد المطلب مع ابن أخيه صلى الله عليه وسلم فشهد فتح مكة وغزوة حنين وحصار الطائف .

معلمو عبد الله بن عباس :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلم الأول لابن عباس فلقد شاء الله عزوجل أن يعوض عبد الله بن عباس كثيراً مما فاته من الحكمة والعلم والخير فقد كان ينام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة خالته ميمونة بنت الحارث فكان يرى عن قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى جوف الليل ويسمع أذكاره وكيف يصلى المؤتم خلف الإمام . ،

فذات ليلة قام النبي عليه الصلاة والسلام يصلى فتوضأ عبد الله بن عباس وقام على يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بأذنه فأداره عن يمينه فتتامت صلاته صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة . ثم اضطجع فنام حتى نفخ (كان صلى الله عليه وسلم إذا نام نفخ) . . ثم ارتفع صوت بلال بن رباح (مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم) :

— حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يا رسول الله

فقال النبي عليه الصلاة والسلام فصلى ولم يتوضأ (لأن النوم لا يعد ناقضاً فى حق الأنبياء) وسمع عبد الله بن عباس النبي عليه الصلاة والسلام يقول فى دعائه :

— اللهم اجعل فى قلبي نوراً وفى بصرى نوراً وفى سمعى نوراً وعن يمينى نوراً وعن يسارى نوراً وفوق نوراً وتحتى نوراً وأمامى نوراً وخلفى نوراً واجعل لى نوراً

وأردفه (أركبه خلفه) رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابته أكثر من مرة عندما كان يذهب إلى مسجد قباء . وذات ليلة قام النبي عليه الصلاة والسلام يصلى فى هجعة الليل وكان عبد الله بن عباس ينام فى حجرة خالته ميمونة بنت الحارس فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجى ربه قائلا :

— اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق وقولك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق . اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت .

وركب عبد الله بن عباس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابته يوماً فقال له النبي عليه الصلاة والسلام :

— يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما هو كائن ولو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيئاً لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا عليه وعلى أن يمنعوك شيئاً كتبه الله عز وجل لك لم يقدروا عليه فاعمل لله تعالى بالرضى فى اليقين وأعلم أن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا .

أدرك عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يلقى عليه ذلك القول لأنه ذو فطنة واستعداد عقلى يدفعه إلى طريق العلم والمعرفة . ، فلزم ابن عباس ابن عمه عليه الصلاة والسلام . . فخطبهم النبى صلى الله عليه وسلم يوماً حتى أسمع العواتق فى الخدور ينادى بأعلى صوته : يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته ،

وصلى عبد الله بن عباس خلف النبى عليه الصلاة والسلام من آخر الليل فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حذاءه . . فلما انصرف قال عبد الله ابن عباس :

— وينبغى لأحد أن يصلى حذاءك وأنت رسول الله الذى أعطاك الله ؟

كان ابن عباس يحب ابن عمه صلى الله عليه وسلم ويجله ويوقره . ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضع يـــده الشريفة على رأس عبد الله بن عباس ،

— اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين . اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل (تأويل الكتاب) ،

ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة على صدر ابن عباس وأردف :

— اللهم احش جوفه حكمة وعلما ،